مناقب الأمة المحمدية

وخصائصها

"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"

آل عمران 110

"هُوَ اجْتَبَاكُمْ"

الحج 78

"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً"

البقرة 143 أي خياراً عدولاً

جمع عبد ربه الضعيف عبد الله التليدي

ختم الله له بالسعادة آمين

الكتاب : مناقب الأمة المحمدية وخصائصها
المؤلف : أبي الفتوح عبد الله التليدي
الناشر : منشورات دار الأمان
العنوان : 4، زنقة المامونية – الرباط
الهاتف: 76 32 72 37 05 – الفاكس: 55 00 20 37 05
البريد الإلكتروني: E-mail: libdarelamane@yahoo.fr
الإيداع القانوني : 2015MO1456
ردمك : 978-9954-502-39-6
الطبع : مطبعة الأمنية – الرباط
الهاتف: 05.37.72.48.39 – الفاكس: 05.37.20.04.27
البريد الإلكتروني: E-mail: impoumnia@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على نبينا وآله وزوجه وصحبه وحزبه.

وبعد، فإنه من أظهر نعم الله تعالى علينا أن جعلنا من أمة سيد أهل الأرض والسماء سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشرف وعظم ومجد وكرم.

فكما فضله على العالمين وشرفه بالخصائص والمزايا التي لم ينلها بشر قبله ولا يحوم أحد حولها بعده فأنزل عليه الكتاب العظيم الذي جمع فيه علوم الأولين والآخرين، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وختم به النبوة والرسالة، وعمم دعوته لكل الأجناس والملل، وأعطاه الشفاعة العظمى والمقام المحمود، وجعله أول شافع وأول مشفع، وأن آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه، وأنه أول من يقرع باب الجنة ويدخلها

إلى آخر الجريدة، فكذلك فضل أمته على سائر الأمم وخصها بخصائص وفضائل لم تنلها أمة قبلها.

ولذلك لما أتى سيدنا عمرُ رضي الله تعالى عنه النبيَّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فغضب فقال: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني".

رواه أحمد 387/338/3 والدارمي 441 وابن أبي عاصم في السنة 50 وابن عبد البر في جامع بيان العلم 42/2 من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، والحديث صحيح لشواهده كما بين في غير هذا الموضع، وقوله "أمتهوكون" أي متحيرون أنتم في الإسلام لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه عن غيركم.

وفي الحديث إشارة منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى أن هذه الأمة لا تحتاج إلى غيرها في شيء من شئون دينها لما فضلها الله عز وجل بهذا النبي العظيم وشرعه المبارك العميم.

وهذه رسالة وضعتها لما حضرني من فضائل هذه الأمة المرحومة وما خصها الله عز وجل به من المزايا فنسأله تعالى أن يحيينا عليها حتى نلقاه في جملة صالحيها آمين.

معنى الأمة

الأمة بضم الهمزة وتشديد الميم المفتوحة لفظ مشترك يطلق على معان يطلق على الجيل من الناس، وعلى الطريقة وعلى الملة والدين وعلى الرجل الجامع للخير وعلى الجماعة وغير ذلك.

والأمة المحمدية هي الأجيال التي بعث إليها رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من عصره إلى قيام الساعة.

الأمة المحمدية صنفان

وهذه الأمة صنفان: صنف يقال له أمة الدعوة والصنف الثاني يقال له أمة الإجابة.

وقد قال تعالى في الصنفين معا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ الآية 28 سبأ، وقال جل علاه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ الأعراف 158.

وفي حديث الصحيحين: "أعطيت خمساً" وفيه: "وبعثت إلى الناس عامة" وفي رواية: "أعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر والأسود" رواه أحمد 416/4 بسند صحيح من حديث أبي موسى عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمراد بالأحمر والأسود كل الأجناس من حمر وسود وعرب وعجم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" رواه مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "من سمع بي من أمتي أو

يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة" رواه أحمد 396/4 بسند صحيح.

فقوله: "من هذه الأمة" يعني أمة الدعوة فيدخل فيها كل أجناس هذه الأمة ويشمل كل الناس من كتابيين ووثنيين ومجوس وبوذيين وبراهمة ولادينيين....

وفي أمة الدعوة جاء حديث البخاري الذي أخرجه في كتاب الأشربة حيث قال: باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، فقال: وقال هشام بن عمار: حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلابي حدثني عبد الرحمن بن غَنَم الأشعري قال: حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري والله ما كذبني سمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جَنْبِ عَلَمٍ بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة" والحديث صحيح جاء متصلا من طرق أخرى خلافاً لابن حزم ومن قلده.

فقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "ليكونن من أمتي.." الخ المراد بهم أمة الدعوة من الكفار الأصليين أو من ارتد عن الإسلام كالإباحيين والعلمانيين الحاليين، فهم الذين يستحلون الزنا والخمر والملاهي بجميع أنواعها وأشكالها.

وبذلك يرتفع الإشكال الذي أبداه بعضهم حيث قال: كيف يسمون من الأمة وهم يستحلون المحرمات وقد عرفت أنهم من أمة الدعوة.

أما الصنف الثاني فهم أمة الإجابة وهم الذين استجابوا دعوة الله فآمنوا بالله عز وجل وبرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبكل ما جاء به جملة وتفصيلا وفي هذا الصنف جاءت الفضائل والمناقب والخصائص التي سنوردها بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه وهؤلاء هم أسعد الناس وأحقهم بنبيهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأولاهم بالانتساب إليه وبشفاعته والكون معه في دار الكرامة والنعيم.

أصرح آيات وأظهرها في فضل الأمة

وأصرح آيات في القرآن الكريم وأظهرها وأشهرها في فضل هذه الأمة هي الآتي:

1 - قوله تعالى في سورة البقرة الآية 143: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

2 - وقوله تعالى في نفس السورة الآية 128: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾.

3 - وقوله تعالى في سورة آل عمران الآية 110: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾.

4 - وقوله جل علاه في نفس السورة الآية 164: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الخ وأخواتها.

5 - وقوله جل جلاله في سورة المائدة الآية 3: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾.

6 - وقوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ{32} جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ الآية 32-33.

فهذه الآي هي أظهر ما في القرآن من آياته الدالة على فضل هذه الأمة.

الأمة المحمدية خيار عدول

أما الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ البقرة 143.

فمعناه والله تعالى أعلم كما هديناكم إلى الإسلام وإلى طريق الله القويم ومنه جعلنا الكعبة لكم قبلة وهي وسط الأرض ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ أي خياراً عدولا والوسط الخيار والعدل يقال فلان أوسط قومه ووسطهم أي خيارهم فهذه الأمة خيار الأمم كما أنها أيضا وسط في الدين لم

تغل غلو النصارى في عيسى عليه السلام ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم.

وقوله عز وجل: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ الخ، جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "يُدعَى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ والوسط العدل، وفي رواية: "فتدعى أمة محمد - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- أن الرُّسُل قد بَلَّغُوا.

رواه أحمد 58/32/3 والبخاري في بدء الخلق وفي التفسير وفي الاعتصام والترمذي والنسائي في الكبرى كلاهما في التفسير.

فهذه الآية الكريمة من أصرح الآيات وأظهرها الدالة على فضل هذه الأمة حيث جعلها الله عز وجل عدولا

يشهدون على الأمم يوم القيامة أن رسلهم عليهم الصلاة والسلام بلغوهم.

وكما جعلهم شهداء يوم القيامة على غيرهم كذلك جعل سبحانه وتعالى شهادة بعضهم على بعض في الخير والشر من موجبات الجنة والنار لمن شهدوا عليه.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "وجبت"، ثم مُر بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: "وجبت" فقال عمر رضي الله تعالى عنه: ما وجبت؟ قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض".

وفي رواية: "وجبت وجبت وجبت أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض" رواه البخاري 472/3 ومسلم 19/18/7 كلاهما في الجنائز.

وعن أبي الأسود قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فمرت بهم جنازة فأثنى على صاحبها خيراً فقال عمر رضي الله تعالى عنه: وجبت ثم مر بأخرى فأثنى على صاحبها خيراً فقال عمر رضي الله تعالى عنه: وجبت، ثم مر بالثالثة فأثنى على صاحبها شراً فقال: وجبت فقال أبو الأسود فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت: كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة" فقلنا: وثلاثة؟: قال: " وثلاثة" فقلنا: واثنان؟ قال: "واثنان" ثم لم نسأله عن الواحد. رواه البخاري في الجنائز 473/472/3.

وهذه الشهادة لا بد وأن تكون من الصالحين كالصحابة مثلا ولذا قال الحافظ في الفتح في قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أنتم شهداء الله في الأرض" أي المخاطبون بذلك من الصحابة ومن كان على صفتهم من الإيمان ثم نقل عن الداودي قال: المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق لا الفسقة، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة، لأن شهادة العدو لا تقبل...

وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قال بعضهم: معنى الحديث أن الثناء بالخير لمن أثنى عليه أهل الفضل وكان ذلك مطابقاً للواقع فهو من أهل الجنة، فإن كان غير مطابق فلا وكذا عكسه قال: والصحيح أنه على عمومه وأن من مات منهم فألهم الله تعالى الناس الثناء عليه بخير كان دليلا على أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا، فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة، وهذا إلهام يستدل به على تعيينها وبهذا تظهر فائدة الثناء، أما قوله تعالى في بقية الآية: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ معناه أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سيشهد علينا يوم القيامة بأن أمته قد فعلوا ما أمر بتبليغه إليهم من الإيمان به وبكل ما جاء به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً﴾ النساء 41، وقوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء﴾ النحل 89، وقوله جل علاه: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ الحج 78.

فهذه الآيات كلها في معنى قوله جل ذكره: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ فكما جعل تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شهيداً على أمته جعلهم هم الآخرون شهداء على الأمم قبلهم وفي ذلك ما لا يخفى من شرف هذا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشرف أمته.

الأمة المحمدية دعوة إبراهيم

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ البقرة 128.

ففيها دعوة الخليل صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء (وفي ذلك من الشرف ما لا يخفى) أن يخرج من ذريته أمة مسلمة لله عز وجل كدعوته في قوله تعالى في نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الآية 129 البقرة.

وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت" الحديث.

رواه أحمد 127/4 وابن حبان 6404 والحاكم 600/2 من حديث العرباض بن سارية وسنده صحيح عند أحمد وله شواهد وفي ذلك من الشرف والفضل ما لا يخفى.

فذكره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه دعوة إبراهيم وما معه بيان منه لفضله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتشريفه... فكذلك دعوة الخليل أن يكون من بنيه نسلٌ وأمة مسلمة له سبحانه ففي ذلك شرف لهذه الأمة وفضل أي فضل.

الأمة المحمدية خير الأمم

أما الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران 110.

فهي إن لم تكن أظهر من الأولى فلا تقل عنها في الفضل والتشريف وهذا الخطاب الإلاهي جاء بالأصالة خطابا لصحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم لمن كان على شاكلتهم في الإيمان الصحيح والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر فهؤلاء هم الذين يمثلون الأمة المحمدية أما غيرهم من المنحرفين والغير المستقيمين فخيريتهم غير كاملة وإن كانوا لا يخلون من بركة الانتساب وأصل الإيمان.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول في قوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" قال: "إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى" رواه أحمد 5/3/5 والترمذي في التفسير والدارمي 2763 وابن ماجه 4288 والحاكم 294/2 وحسنه الترمذي وصححه الحاكم، فهذا الحديث نص في أن هذه الأمة هي خاتمة الأمم وأنه قد سبقها تسع وستون أمة فهي المتممة السبعين وأنها خير تلك الأمم وأكرمها على الله وأشرفها وجاء أيضاً عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء" وفيه: "وجعلت أمتي خير الأمم" رواه أحمد 98/1 بسند حسن.

وكفى بهذا شرفاً وفضلاً فهي خير وأكرم على الله من تسع وستين أمة فلك الحمد كثيراً يا ربنا على أن جعلتنا من أمة سيد الخلق صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

امتنان الله تعالى على الأمة بإرسال هذا النبي العظيم

وأما الآية الرابعة وهي قوله تعالى: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** الآية 164 آل عمران.

ففيها أن شرف هذه الأمة بشرف نبيها وأن الله عز وجل شرفها وأنعم عليها ببعثة هذا الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وامتن عليهم به في كتابه العزيز في غير ما آية.

وعُدَّ ذلك من أصول النعم الخمس التي لا يد للإنسان فيها وقد قال أيضا في آخر سورة التوبة الآية 128: **﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**.

فهذا قسم من الله عز وجل كسابقه على إرسال هذا الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبعثته فينا.

والخطاب في قوله: "لَقَدْ جَاءكُمْ" للعرب لأنهم المخاطبون بالقرآن الكريم بالأصالة أما غيرهم فبالتبعية لهم، فهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عربي من نسل آباء وأجداد عرب أطهار.

قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي بعثت فيه" رواه البخاري في صفة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من المناقب 384/7 وأحمد 373/2 من حديث أبي هريرة.

ووصفه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذه الآية بأربع صفات: كونه يعز عليه ما يعنت أمته من المشاق والبلايا وأنه كان حريصاً على إيمان سائر المخلوقات وأنه عز وجل وصفه بصفتين من صفاته المقدسة وهو كونه رءوفا رحيما بالمؤمنين وقد كان كذلك صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وقال الله عز وجل في أول سورة الجمعة: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ{2} وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ{3} ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ{4}﴾** الآيات 2-3-4.

فهذا الامتنان الإلاهي بهذا الرسول العظيم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما يشمل العرب وهم المعنيون بالأميين

يشمل كل أجناس هذه الأمة على اختلاف أنسابهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم إلى يوم القيامة.

وقد جاء في الآية الكريمة حديث عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يبين بعض من يأتي بعد العرب الأميين من الأعاجم الذين هم جملة الممتن عليهم بهذا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذ نزلت سورة الجمعة فلما قرأ: "وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ" قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يده على سلمان ثم قال: "لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء" وفي رواية: "والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا..." وفي رواية ثالثة: "لو كان عند الثريا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه" رواه أحمد 417/2 والبخاري في التفسير ومسلم في الفضائل والترمذي في التفسير وفي الفضائل والنسائي في الكبرى 76/5.

فالحديث الشريف يبين الآخرين الذين لم يلحقوا الصحابة ممن بعث فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإن من جملتهم العجم أهل فارس قوم سلمان رضي الله تعالى عنه.

وفي الآية الكريمة والحديث الشريف معجزة غيبية ظاهرة حيث أخبر تعالى بقوم يأتون بعد الصحابة يؤمنون بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنهم من جملة من امتن الله تعالى عليهم بهذا النبي المبعوث فيهم ليعلمهم ما كانوا يجهلونه من الكتاب والحكمة وإن كانوا قبل ذلك لفي ضلال واضح وجهل فادح وكل ذلك فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

امتنان الله تعالى عليها بإكمال الدين وإتمامه عليها بالنعمة ورضائه لها الإسلام دينا

أما الآية الخامسة وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾ المائدة 3.

فهي من أظهر ما في القرآن فضلا وتشريفاً لهذه الأمة وقد أدرك اليهود وعرفوا أنها أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على هذه الأمة فودوا أن لو كانت نزلت عليهم.

فعن طارق بن شهاب رحمه الله تعالى قال: قالت اليهود لعمر رضي الله تعالى عنه: إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر رضي الله تعالى عنه: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً".

رواه البخاري في الإيمان وفي المغازي وفي التفسير وفي الاعتصام ومسلم 154/153/152/18 والترمذي والنسائي في الكبرى 332/6 ثلاثتهم في التفسير ورواه النسائي أيضا في الحج وفي الإيمان من المجتبى.

فهذه آية عظيمة وعظيمة إذ فيها امتنان الله عز وجل على هذه الأمة الإسلامية بإتمامه لها دينها وإسباغه نعمته عليها ورضائه لها الإسلام ديناً.

وهذه من النعم الإلاهية الجلائل التي لا يد لأحد فيها، فهو مجرد فضل منه تعالى علينا فله الحمد وله الشكر.

والآية الكريمة من أواخر ما نزل من القرآن فقوله جل علاه: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" أي جعلته كاملا فكل ما يحتاجه المسلمون من حلال وحرام وفرائض وأحكام وأخلاق قد أنزله الله عز وجل وبينه رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وما انتقل الحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى أتم الله عز وجل هذا الدين بأصوله وقواعده وأحكامه وجعله صالحاً لكل زمان ومكان ولجميع الأمم والأجيال وفيه من الأصول والقواعد العامة ما يستخرج بها ومنها كل ما يستجد من النوازل وما يحدث مما يحتاج إلى استخراج حكم شرعي له كما بين ذلك العلماء في أصول الفقه، والآية الكريمة لا تنافي القياس إذا كان جلياً وتوفرت فيه أركانه لورود ما يؤيده في القرآن وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

وعليك بأصول الفقه لتحيط علماً بهذا الموضوع فإنه هام جداً والإسلام الذي رضيه تعالى لنا المراد به الملة والدين المبني

على التوحيد والإخلاص لله عز وجل وهو دين جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم الذي اتفقوا عليه وشرعه لنا كما قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ الشورى 13.

وهو الذي أمر به خليله إبراهيم عليه السلام فانقاد له وأمر به بنيه كما قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ{131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ{132}**﴾ البقرة 131-132، أي موحدون منقادون مخلصون لله عز وجل.

وهو المراد بقوله جل علاه: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾ آل عمران 19، وبقوله جل ثناؤه: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ آل عمران 85.

فالمراد بكل ذلك الملة الحنيفية المبنية على توحيد الله تعالى والإخلاص له وعبادته وحده. وهو الذي جاء به حديث أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة، ولا

اليهودية، ولا النصرانية، ومن يفعل خيراً فلن يكفره" رواه أحمد 132/131/5 بسند حسن صحيح.

وهذا هو الإسلام المتفق عليه بين سائر أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم وهو الذي ارتضاه الله عز وجل لنا ديناً وزادنا فروعاً له جعلها تتمة له لا يكون المرء مسلما في شرعنا وملتنا إلا بتحققه بها وهي الواردة في الآتي:

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان" رواه البخاري 55/1 ومسلم 177/176/1 كلاهما في الإيمان.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته" وفي رواية: "فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم" رواه البخاري في استقبال القبلة.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه في حديث جبريل عليه السلام الطويل الذي فيه: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت.... فأخبرني عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: فأخبرني عن الإحسان قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ثم قال في الأخير: "يا عمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم قال: "فإنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم" رواه مسلم في الإيمان 151/150/1 وغيره.

فما في هذه الأحاديث هو دين الإسلام في شرعنا فمن اعتقد ما فيها وطبقها عملياً فهو المسلم في عرفنا الشرعي ومن خرج عنها فليس بمسلم.

اصطفاؤها وإرثها الكتاب الكريم

أما الآية السادسة وهي قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ{32} جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ{33}﴾** الآيتان 32-33 فاطر.

فهي تدل دلالة ظاهرة على أن هذه الأمة مصطفاة ومختارة من بين سائر الأمم وأنهم ورثة هذا الكتاب العظيم الذي جعله الله عز وجل خاتم سائر الكتب والمهيمن عليها. ووعد الله تعالى ووعده حق أن جميعهم في الجنة بطائعهم وعاصيهم.

قال الزمخشري في الكشاف: والذين اصطفاهم الله هم أمة - سيدنا - محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة.

وقد جعلهم الله عز وجل أصنافاً ثلاثة: مقصر في عمل الخير يتلو القرآن ولا يعمل به وهو الظالم لنفسه، ومقتصد في

فعل الخيرات يعمل بالقرآن في أغلب أحواله، وسابق وهو الذي يستبق الخيرات....

وقال ابن جزي في التسهيل: وأكثر المفسرين أن هذه الأصناف الثلاثة في أمة - سيدنا- محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فالظالم لنفسه العاصي، والسابق التقي، والمقتصد بينهما.

وجاء عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: السابق من رجحت حسناته على سيآته، والظالم لنفسه من رجحت سيآته على حسناته، والمقتصد من استوت حسناته وسيآته وجميعهم يدخلون الجنة.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾ وهو المفرط في بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، "وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ" وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، "وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ" وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.... والله تعالى أعلم، وهذا ما قيل في هذه الأصناف.

وقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الحكم الفاصل في ذلك:

فعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "قال الله عز وجل: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ الآية فأما الذين سبقوا الخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله تعالى برحمته فهم الذين يقولون: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ{34} الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ{35}**﴾ فاطر 34-35.

رواه أحمد 198/197/194/5 من طريقين أحدهما سنده صحيح على شرط مسلم ورواه أيضا ابن جرير 137/22 وابن أبي حاتم بنحوه.

وله شواهد عن أبي سعيد الخدري رواه أحمد 78/3 والترمذي 3014 بتهذيبي وحسنه وابن جرير 137/22 وابن أبي

حاتم 3181/10 وعن ابن عباس وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم عند الطبراني.

وفي بعضها: "كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة" وفي رواية ابن عباس: "فظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب".

ومثل هذه الآية التي ذكرنا في الاصطفاء قوله تعالى في سورة الحج ﴿**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ الآية 78.

والاجتباء هو الاصطفاء والاختيار فالله عز وجل اجتبى هذه الأمة وأمرها باتباع ملة خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

تشريفها بنزول القرآن الكريم

ومن أعظم خصائص هذه الأمة إنزال القرآن لها وهو أشرف كتاب أنزله الله عز وجل. فشرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نزلت عليهم في صحف وكتب، وأشهرها التوراة التي أنزلها الله تعالى على كليمه موسى عليه السلام،

والزبور الذي أنزله تعالى على داود عليه السلام، والإنجيل الذي أنزله تعالى على عيسى خاتم أنبياء بني إسرائيل عليه السلام، فجاء القرآن الكريم خاتماً لها ومهيمناً عليها جامعاً لكل ما فيها وزيادة عليها فجمع الله تعالى فيه علوم الأولين والآخرين وفيه من السور والآيات الفاضلات ما ليس في أي كتاب سابق ففيه الفاتحة التي هي أعظم سورة في القرآن والتي لم ينزل مثلها لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا غيرهما كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وفيه الزهراوان البقرة وآل عمران اللتان يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تظلان صاحبهما، وفيه آية الكرسي وهي أفضل آية في القرآن، وفيه قل هو الله أحد التي تعدل ثلث القرآن وفيه المعوذتان اللتان لم يُر مثلهن وفيه خواتم البقرة التي من قرأهما في ليلة كفتاه، وفيه الحواميم، والفلاميات والطواسم وغيرها من أسرار الله تعالى.

وجاء في شأنه وصفاته والإشادة به ما يحمل على تقديسه، وعظيم الاهتمام به والاعتناء بحفظه وتفهمه والعمل به والسير على منهاجه والتحاكم إليه والحكم به وشدة محبته ومحبة منزله والمنزل عليه.

ومما جاء في صفته الآتي من الآي الممتعة الرائقة الرائعة:

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ{15} يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{16}﴾ المائدة 15-16.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الأنعام 104.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ{57} قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ{58}﴾ يونس 57-58.

ففضل الله هو الإيمان، ورحمته القرآن أو العكس.

وقوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ النور 34.

وقوله جل علاه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى 52.

وقوله جل علاه: ﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الأنعام 92.

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ الأنبياء 50.

وقوله عز من قائل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ ص 29، في آيات كثيرة تشيد بهذا الكتاب العظيم.

أنزله الله عز وجل في ليلة القدر من رمضان من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم جعل الله تعالى ينزله على نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حسب الأحداث والنوازل حتى تم نزوله في ثلاث وعشرين سنة فكان أول ما نزل سورة العلق 1-5: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بمكة المكرمة، وآخر ما نزل إطلاقا قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾ البقرة 281، ولم يعش صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد نزولها إلا تسعة أيام.

فكان أشرف كتاب نزل على أشرف رسول في أشرف شهر وأشرف ليلة وأشرف لغة لغة العرب، فنحمد الله تعالى

على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى.

اختصاصهم بفرضية الصلاة عليهم في السماء

ومن خصائص هذه الأمة المرحومة فرضية الصلاة عليهم فوق السماء السابعة في أشرف ليلة – وهي ليلة الإسراء – في أقدس موضع فرضها الله تعالى فرضا خاصاً بينه وبين نبيه وحبيبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ففي حديث الإسراء الذي رواه مسلم في الإيمان 209/2 مع النووي من حديث أنس رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بطوله وفيه: "ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال لي: ما فرض الله عليك وعلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني

قد بلوت بني إسرائيل وخَبَرْتُهُم، فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة، فكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيء، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة" الحديث.

ولا تعرف هذه الخصيصة لأمة من الأمم فشرائع الرسل كلها كانت تشرع لهم في الأرض بواسطة جبريل عليه السلام وصلاتنا فرضت علينا من الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فوق السماوات مباشرة منه تعالى وبلا واسطة.

جعله تعالى الكعبة قبلة لهم

ومن خصائصها أن الله عز وجل اختار لهم بيته الحرام الكعبة قبلة لهم وهي قبلة شيخ الأنبياء وإمام الحنفاء الموحدين خليل الرحمن عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَام وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ البقرة 144، فقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكة المكرمة قبل هجرته إلى المدينة إذا صلى صلى بين الركنين فيجمع بين استقبال قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام وبين استقبال بيت المقدس قبلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلما هاجر استقبل بيت المقدس واستدبر الكعبة وبقي على ذلك نحو ستة أو سبعة عشر شهراً، وكان يحب ويتمنى تحويل قبلته إلى قبلة جده إبراهيم عليه السلام، وكان يكثر من تقلب وجهه لجهة السماء لعل جبريل عليه السلام يأتيه بما يرجوه فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء**﴾ الخ.

فأمر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم باستقبال بيت الله الحرام.

جاء هذا في حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه حيث قال: لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله عز وجل: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**﴾ الآية.

فوجه نحو الكعبة وكان يحب ذلك، فصلى رجل معه العصر قال: ثم مر على قوم من الأنصار وهم ركوع في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو شهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنه قد وجه إلى الكعبة قال: فانحرفوا وهم ركوع. رواه البخاري في الإيمان وفي التفسير وفي مواضع ومسلم في تحويل القبلة من كتاب المساجد وغيرها.

والجمهور على أن تحويل القبلة كان في صلاة الظهر والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ببني سلِمة حيث يوجد مسجد القبلتين اليوم.

ثم إن التوجه إلى الكعبة المشرفة له مزايا خاصة ليست لغيرها فالكعبة أول بيت وضع في الأرض للناس لعبادة الله

تعالى: كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ{96} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ﴾ آل عمران 96-97.

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه سأله عن أول مسجد وضع للناس؟ قال: "المسجد الحرام"، قلت: ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى" قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون عاماً"، ثم قال: "حيثما أدركتك الصلاة فصل، والأرض مسجد لك" رواه أحمد 166/150/5 والحميدي 134 والبخاري في أحاديث الأنبياء 273/7 ومسلم في المساجد 3/2/5 وغيرهم.

فدلت الآية والحديث على أن الكعبة المكرمة هي أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله وكان أول من بناه الخليل عليه السلام خلافا لما جاء في الإسرائيليات، والجمهور على أن بيت المقدس أول من بناه يعقوب عليه السلام وقيل الخليل أما ما جاء من بناء سليمان عليه السلام لبيت المقدس فمعناه تجديده باتفاق.

ثم إن له فضائل وخصائص ليست لغيره ككونه قبلة لشيخ الأنبياء وإمامهم سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأن به

الحجر الأسود، والمقام، وهما من يواقيت الجنة وليس في الأرض شيء من الجنة سواهما أما روضة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالمسجد النبوي ففيها تأويلات معروفة، ثم إن هذا البيت العظيم جعله الله تعالى قياماً للناس يقيمون به شئون دينهم فلا يتم منسك الحج الأعظم، ولا العمرة إلا بالطواف به فيتعلق به ركنان طواف القدوم، للحج والمعتمر، وطواف الإفاضة للحج ثم الطواف الثالث وهو طواف الوداع وهو واجب عند كثير من العلماء للأمر به من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما في الحديث الصحيح: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت أو كما ورد.

وعنده الصفا والمروة وهما من شعائر الله وأعلام دينه والسعي بينهما ركن للحج والعمرة على القول الصحيح.

ثم إن الله عز وجل أحاط به منطقة واسعة جعلها حرماً تشريفاً وتعظيماً وتكريماً لهذا البيت العتيق، جعلها تابعة له فلا يسفك بها دم، ولا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا يقتل صيدها.

وجعله الله تعالى ذا أمن وأمان تؤتى وتجلب إليه الأرزاق من جميع أصقاع الأرض... كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا

حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت 67، وقال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ آل عمران 97، وقال جل ذكره: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{4}﴾ قريش 3-4، وقال جل جلاله: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا﴾ القصص 57.

وجلب الثمار متجل بأجلى مظهر في وقتنا فيوجد فيه من أنواع الثمار والفواكه وغيرها ما لا يوجد في غيره كما أن جميع أهل الأرض يصدرون إليه بضائعهم....

وبلدته مكة المكرمة أفضل البقاع وأحبها إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فعن عبد الله بن عدي رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واقفا على الحزورة فقال: "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت".

رواه أحمد 305/4 من طرق والترمذي آخر الفضائل رقم 3689 بتهذيبي وابن ماجه 3108 وحسنه الترمذي وصححه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لمكة: "ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك" رواه الترمذي أيضا 3690 وابن حبان 1026 وحسنه الترمذي وصححه أيضاً.

يضاف إلى ما سبق أن الصلاة الواحدة فيها بمائة ألف صلاة كما سيأتي إن شاء الله لاحقاً في مضاعفة الأعمال.

اختصاصهم برمضان وليلة القدر

ومن خصائصها ومناقبها العظيمة مشروعية صيام رمضان فريضة وقيامه تطوعا ونافلة وإعطاؤها ليلة القدر التي جعل الله عز وجل قيامها خيراً من ألف شهر وذلك أكثر من ثمانين سنة.

وهذه من المزايا والنعم العظيمة التي تفضل الله بها على هذه الأمة فرمضان يعتبر في هذه الأمة من الشهور المباركة التي تكفر فيه الخطايا والآثام العظام، ويتجلى الله عز وجل فيه لعباده بأنواع الرحمة فيشد ويغلق فيه أبواب النيران، ويفتح فيه

أبواب الجنان، ويعتق في كل يوم من النار ما لا يحصى كثرة، وفيه أنعم الله عز وجل على نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعلى أمته بنزول القرآن الكريم في الليلة المباركة ليلة القدر.

قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة 185.

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الدخان 3، والليلة المباركة هي ليلة القدر المبينة في سورة القدر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ{1} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ{2} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ{3} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ{4} سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ{5}﴾ القدر 1-2-3-4-5.

فمن صام رمضان أو قامه أو قام ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه وكذا ما تأخر.

فيا لها من بركات وسلاسل من رحمات وتكفير الذنوب والسيآت فهذه خصيصة ونعمة من أعظم نعمه عز وجل على هذه الأمة المرحومة، ومما جاء في فضل رمضان ما رواه

البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين" وعنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" روياه ورواه أحمد 503/241/232/2 وزاد في رواية بسند صحيح: "غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" وفي رواية عند الترمذي وغيره: "وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة".

وجاء في قيامه عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أيضا: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" أخرجه الشيخان.

وقيامه يشمل صلاة أحدى عشرة ركعة كما كان يفعل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في جميع قيامه وتهجده في رمضان وغيره كما في الصحيح عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة.

كما يشمل ما سنه سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه من التراويح المعتاد وهو صلاة ثلاث وعشرين ركعة.

فعن يزيد بن رومان رحمه الله تعالى قال: كان الناس يقومون في زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة رواه مالك في الموطأ 250 وعن عطاء رحمه الله تعالى قال: أدركتهم في رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر رواه ابن نصر في قيام الليل 221 وعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال: كانوا يقومون على عهد عمر رضي الله تعالى عنه في رمضان بعشرين ركعة رواه البيهقي في السنن 496/2 وصححه النووي وأبو زرعة العراقي والسيوطي يعني عشرين بلا وتر وقال الترمذي رحمه الله تعالى في الجامع: أكثر أهل العلم على ما روي عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عشرين ركعة وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى 191/1: ثبت أن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه كان يقوم بالناس عشرين ركعة في رمضان ويوتر بثلاث فرآى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة لأنه قام بين المهاجرين والأنصار ولم ينكره منكر..

وقال ابن رشد في البداية: اختار مالك في أحد قوليه وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وداود القيام بعشرين سوى الوتر.

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: وهو الصحيح... من غير خلاف بين الصحابة قال: وهو قول جمهور العلماء وهو الاختيار عندنا.

فالتراويح بهذا العدد سنة أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم وهو هنا سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه مع إقرار ذلك من جميع المهاجرين والأنصار آنذاك ولذلك اختاره الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى.

أما ليلة القدر فجاء فيها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتحرى هذه الليلة ويأمر الصحابة بطلبها في العشر الأواخر من رمضان وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا دخل العشر الأواخر أحيا ليله وأيقظ أهله وشد مئزره. أخرجاه آخر الصيام عن

سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر" روياه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وقال لعائشة رضي الله تعالى عنها: إذا صادفت ليلة القدر قولي: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني" رواه أحمد 258/183/6 والترمذي وصححه.

وحسبك أيها المسلم عظمة لهذه الليلة أن ملائكة الله تعالى ينزلون من السماوات مع الروح ويملئون الأرض والمساجد ويحفون المصلين والعاكفين والذاكرين ويشاركونهم في عبادتهم والدعاء معهم حتى يطلع الفجر وفي هذه الليلة المباركة من كل سنة يفرق كل أمر حكيم أي يفصل ويبين فيها كل ما سيقع في تلك السنة من آجال وأرزاق وتقلبات الأحوال ينسخ ذلك من اللوح المحفوظ ثم يوحى به إلى الملائكة المكلفين بهذه الكائنات.

اختصاصها بحج بيت الله الحرام

ثم يجيء دور الحج فهو أيضاً من الفرائض التي خص الله تعالى بها هذه الأمة لم يكن حج عند اليهود ولا النصارى كقاعدة من قواعد الدين كما عند هذه الأمة المسلمة.

وناهيك بفضل هذا الركن الأعظم الذي جعل الله عز وجل مؤديه يرجع منه مغفوراً له كما ولدته أمه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" رواه البخاري 125/4 ومسلم 119/9 كلاهما في الحج.

والرفث هنا الجماع والتعريض به.

وفي صحيح مسلم 117/116/9 وغيره عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء".

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة يقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً" رواه أحمد 224/2 عن عبد الله بن عمرو ورواه عن أبي هريرة 305/2 وصححه الحاكم 465/1 على شرطهما ووافقه الذهبي.

ومن أعظم مزايا الحج المختص بهذه الأمة أن الله جعل أداء هذا المنسك في أقدس بقعة يحبها الله عز وجل، وأشرف أيام السنة، فالبقعة مكة المكرمة حيث بيته المقدس وضواحيها من منى وعرفات والمزدلفة ويجمعون بين الحل والحرم وجعل أيامه تبتدئ من شوال عقب الفراغ من فرضية الصوم، ثم ذي القعدة المحرم وعشر من ذي الحجة الذي جعل الله عز وجل العمل فيها أفضل من كل عمل صالح حتى من الجهاد إلا من خرج فلم يرجع بشيء.

وجعل سبحانه لهم يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر أفضل الأيام بعد يوم عرفة الذي هو أفضل أيام السنة.

ثم ختم لهم الانصراف إلى بلادهم بأن يودعوا بيته الحرام فيطوفوا به طواف الوداع فيكون آخر عهدهم به.

فهذه المزايا لم تكن لأحد ولا تكون إلا لهذه الأمة المحمدية تبعا لنبيها ولشيخ الأنبياء وإمام الحنفاء والموحدين سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام.

اختصاصهم بيوم الجمعة

ومن خصائصها اختيار الله تعالى لها يوم الجمعة عيداً أسبوعياً وهو خير يوم طلعت عليه الشمس وله من الخصائص والمزايا ما ليس لغيره من سائر أيام الأسبوع.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة" رواه مسلم في الجمعة 142/141/6 ورواه أحمد وزاد: "وفيه مات، وفيه تاب عليه" ورواه البخاري 67/3 ومسلم أيضاً 139/6 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال فيه: "وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي - أي يدعو - يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه".

وعن أوس بن أوس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي" قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْتَ يقولون: بليت فقال: "إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" رواه أبو داود 1047 والنسائي 75/3 وابن ماجه 1085 بسند صحيح.

فهذه خصائص جعلها الله عز وجل في هذا اليوم العظيم الذي هدى الله تعالى إليه هذه الأمة وأضل عنه اليهود والنصارى كما يأتي.

وله خصائص أخرى ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى في الهدي النبوي مفصلة مسندة إلى أحاديث نبوية فيها الصحيح، والحسن، والضعيف، وذكر منها نحواً من ثلاث وثلاثين خصيصة.

كصلاة الجمعة، وخطبتها، والاستماع والإنصات لخطبتها، وقراءة سورة الكهف يومها، وقراءة ألم السجدة

وسورة الإنسان في صلاة صبيحتها، وقراءة سورتي الجمعة والمنافقين أو سبح والغاشية في صلاتها، ويومها وتكفر فيه الخطايا والسيآت، وأن جهنم لا تسجر يومه، وهو يوم يتجلى الله عز وجل فيه لأوليائه في الجنة، وزيارتهم له، وأنه الشاهد الذي أقسم الله به في سورة البروج، وأن الأموات تدنو أرواحهم من قبورهم فيعرفون زوارهم ومن مر بهم وسلم عليهم، وعدم تخصيصه بصيام أو ليلته بقيام، وهو يوم اجتماع الناس فيه وتذكيرهم بالمسجد...

وهو أعظم يوم يجتمع فيه المسلمون كل أسبوع كما يجتمعون في الأعياد وفي عرفة... وانظر بقيته مفصلة دلائله مما يدل على أن لهذا اليوم لشأناً عند الله عز وجل.

اختصاصهم بالسلام والتأمين

ومن خصائصهم أيضاً ومناقبهم أن الله تعالى اختصهم بتحية الإسلام والتأمين خلف الإمام وقد حسدنا اليهود لذلك.

فعن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "ما حسدتكم اليهود على شيء

ما حسدتكم على السلام والتأمين" رواه ابن ماجه في الصلاة 856 بسند صحيح على شرط مسلم.

وما حسدونا على هاتين الخصلتين إلا لما لهما من الفضل والمزايا فالسلام هو تحية الإسلام قد شرعه الله تعالى للمسلمين وجعله من حقوق المسلم على أخيه إذا لقيه وأمر به وجعله من أسباب التعارف وحض عليه وجعل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لكل جملة منه عشر حسنات فإذا قال المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كانت له ثلاثون حسنة ومثل ذلك لمن ردها أيضا وفي مشروعيته آداب وأحكام معروفة أما التأمين فقد جاء فيه قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إذا أمّن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه" رواه الجماعة وفي رواية عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إذا قال الإمام ﴿**غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ - الفاتحة 7-، فقولوا: آمين فإن الملائكة تقول آمين وإن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه" رواه أحمد والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كالرواية الأولى، وهذا فضل عظيم اختصت به هذه الأمة لذا حسدتهم اليهود.

نحن الآخرون السابقون

ومن خصائصها أن الله عز وجل جعلها في الدنيا آخر الأمم كما قدمنا، عليها تقوم الساعة، والسابقين يوم القيامة الأولين للحساب والمرور على الصراط.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تبع، فاليهود غداً، والنصارى بعدها" رواه البخاري 6/5/4/3 ومسلم 143/142/6 كلاهما في الجمعة وأخرج ابن ماجه في الزهد 4290 من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها، فنحن الآخرون الأولون" قال البوصيري رحمه الله تعالى في الزوائد بإسناد صحيح ورجاله ثقات.

وجاء في صحيح مسلم ضمن حديث عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه أول من يمر على الصراط وأمته ويكون

شعاره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الصراط: "اللهم سلم...".

فالأمة المحمدية هي آخر الأمم وخاتمتهم في الدنيا فلا نبي بعد نبيها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا أمة بعدها فإذا كان يوم القيامة كانت أول من تحاسب وأول من يمر على الصراط وأول من يدخل الجنة كل ذلك إكراماً وتشريفاً لها بسبب نبيها العظيم الذي لم يخلق مثله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الفضل والشرف ودرجات الجنة.

مضاعفة أجور أعمالها

ومن خصائصها ومزاياها – وهي من المهمات– أن الله عز وجل تفضل عليها بتضعيف الحسنات، وثواب الأعمال من عشر إلى سبعمائة إلى ألف إلى مائة ألف إلى ألف ألف..

وفي ذلك أعمال وأقوال متنوعة نجملها في الآتي إن شاء الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ النمل 89، وقال: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام 160، فالآية الثانية مبينة للأولى.

وجاء التنصيص على التضعيف العام في الحديث التالي:

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له واحدة، ويمحوها الله عز وجل، ولا يهلك الله إلا هالك" رواه البخاري ومسلم ونحوه عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما رواهما مسلم في الإيمان 147/2.

وجاء التضعيف منصوصا عليه في عدة أعمال منها قراءة القرآن الكريم، فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" رواه الترمذي في التفسير والدارمي 3311 وحسنه الترمذي وصححه وهو صحيح على شرط مسلم.

ف "الم" مثلا فيها ثلاثة حروف وحسناتها ثلاثون وهكذا كل حرف في القرآن، فالقرآن كله يحتوي كما قال من

عده على ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرين ألفا وستمائة وأحد وسبعين حرفاً هكذا 323671 فإذا ضرب هذا العدد في عشر كان الخارج 3236710، وهذا فضل عظيم وتجارة رابحة فالمؤمن قد يحصل على هذا العدد الهائل من الحسنات في كل ختمة فليقلل من ذلك أو ليكثر هذا في مطلق الحروف القرآنية.

وجاء التضعيف العظيم في سورة الإخلاص:

فعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ يرددها فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن" رواه البخاري آخر التفسير 435/10 ومسلم 812/811 كلاهما في فضائل القرآن.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟" قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: "قل هو الله أحد يعدل ثلث القرآن" وفي رواية: "إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل "قل هو الله أحد" جزءاً من أجزاء القرآن" رواه مسلم بالروايتين في فضائل القرآن 816.

وقوله "جزأ القرآن ثلاثة أجزاء" لأن القرآن الكريم يشتمل في جملته على التوحيد والدعوة إليه مع دلائله وهذا الجزء احتل من القرآن ثلثاً منه، كما اشتمل على قصص الأنبياء وهذا جزء ثان منه أما الجزء الثالث فاشتمل على الأحكام الشرعية والحلال والحرام والفرائض والأخلاق الحسنة والسيئة...

فكانت سورة الإخلاص ثلثاً من القرآن باعتبار أنها دلت على توحيد الله تعالى ذاتا وصفاتاً إثباتاً ونفياً...

ومن الأعمال المضعفة جملة من الأذكار الإلاهية وهي:

عن سعد بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "أيعجز أحدكم أن يكتب في كل يوم ألف حسنة؟" قالوا: وكيف يكتب أحدنا يا رسول الله ألف حسنة؟ قال: "يسبح مائة تسبيحة فيكتب له بها ألف حسنة، ويحط عنه بها ألف خطيئة" رواه أحمد 185/180/174/1 ومسلم في الذكر رقم 2698 والترمذي وغيرهم.

وعن جويرية بنت الحارث رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن النبي صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم خرج ذات غداة من عندها فخرج وهي في المسجد فرجع بعدما تعالى النهار، فقال: "ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد؟" قالت: نعم، فقال: "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزِنّ بكلماتك لوزَنَتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته" رواه مسلم في الذكر وأهل السنن غير أبي داود.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها" رواه أحمد 342/5 ومسلم في أول الطهارة 100/99/3.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير ومن يعمل بهما قليل، يسبح الله دبر كل صلاة عشراً، ويحمده عشراً، ويكبره عشراً"، قال: فأنا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

يعدهما بيده، قال: "فتلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفي وخمسمائة سيئة" قالوا: كيف لا نحصيها؟ قال: "يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر كذا حتى ينفتل فلعله أن لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام....." رواه البخاري في الأدب المفرد 1216 وأبو داود 5065 والترمذي 3189 والنسائي 79/74/3 وابن ماجه 926 وحسنه الترمذي وصححه، وعطاء بن السائب روى عنه شعبة قبل الاختلاط وهو راوي هذا الحديث عنه.

وعن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة، ومحي عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة" رواه الترمذي في الدعوات 3203 والدارمي 2695 وابن ماجه 2235 والحاكم 539/538/1 من طرق وصحح بعضها على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً" رواه مسلم في الصلاة رقم 408 وغيره.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيآت، ورفعت له عشر درجات...." رواه أحمد 102/3 والبخاري في الأدب المفرد 643 وغيرهما بسند صحيح.

وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: جاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً وهو يُرى البشر في وجهه فقيل: يا رسول الله إنا نرى في وجهك بشراً لم نكن نراه قال: "أجل إن ملكاً أتاني فقال لي: يا محمد إن ربك يقول لك: أما يرضيك أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشراً قال قلت: بلى أي رب" رواه أحمد 21/29/4 والدارمي 2779 والنسائي في الكبرى 380/1 وغيرهم وصححه الحاكم 420/2 بموافقة الذهبي.

فهذه جملة واسعة من أنواع الأعمال والأذكار التي تضاعف حسناتها وثوابها فعملها قليل، وأجرها كثير وفير.

أما الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ففيها مع التضعيف صلاة الله وسلامه على المصلين والمسلمين عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع حط الخطايا ورفع الدرجات، وناهيك بصلاة الله عز وجل على عبده فإن صلاة واحدة منه تعالى تعدل أعمال الثقلين منذ خلقهم الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا ومن أعظم أنواع تضعيف الأعمال ما تفضل الله به علينا من مضاعفة الصلاة في المساجد الثلاثة المسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف، والمسجد الأقصى، وذلك لما لها من القداسة والمكانة عند الله تعالى لأنها منازل الوحي وديار الديانات الإلاهية.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" رواه أحمد 499/239/2 والبخاري في صلاة التطوع 309/308/3 ومسلم في الحج 163/9 وأهل السنن وورد عن جماعة في الصحيح وغيره.

وعن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "صلاة في المسجد الحرام

أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة" رواه أحمد 5/4 وابن حبان 599/4 بسند صحيح.

وعن جابر عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه" رواه أحمد وابن ماجه.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة" رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني في الكبير والبزار وأورده نور الدين في مجمع الزوائد في كتاب الحج برواية كبير الطبراني وقال: رجاله ثقات وفي بعضهم كلام وهو حديث حسن وكذا حسنه المنذري في الترغيب والترهيب.

وقد ضرب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لنا ولليهود والنصارى مثلا في تضعيف أعمالنا:

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "إنما بقاؤكم فيما سلف

قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا إلى العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتاب أي رب أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً، ونحن أكثر عملا، قال الله عز وجل: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه من أشاء" رواه أحمد 129/112/111/2 والبخاري في المواقيت 179/177/2 والترمذي في الأمثال 2683 بتهذيبي.

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك فاستأجر آخرين فقال: اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملت فاستأجر قوما فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين" رواه البخاري أيضا في المواقيت 179/2.

فهذا ما تفضل الله عز وجل به على هذه الأمة رحمة منه بها وتكريماً وتشريفاً لها.

استغفار الملائكة لهم وتعاقبهم عليهم صباح مساء

ومن خصائصها أن الله عز وجل سخر ملائكته الكرام عليهم السلام يستغفرون لهم وكانوا أنصح خلق الله تعالى لهم قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية 7 غافر.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم اغفر له اللهم ارحمه" الحديث رواه البخاري في الصلاة 283/2.

واستغفار الملائكة عليهم السلام مستجاب لا يرد.

ومن عظيم كرامة الله عز وجل بهذه الأمة أن جعل تعالى لهم ملائكة خاصين يتعاقبون عليهم ليل نهار طوال أعمارهم يحفظونهم من الطوارئ والآفات الكونية كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ﴾ الرعد 11.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ يقولون: تركناهم وهم يصلون، وآتيناهم وهم يصلون" رواه أحمد 486/2 والبخاري في المواقيت 176/173/2 ومسلم في المساجد 133/5 وغيرهم.

التعاقب هو أن يأتي البعض عقب بعض، ويتناوبون كالحراس والشرطة والجنود في مراكزهم.. وهؤلاء الملائكة عليهم السلام غير الحفظة الكتبة الذين قال فيهم ربنا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ{10} كِرَاماً كَاتِبِينَ{11}﴾ الانفطار 10-11.

فإن هؤلاء لا يفارقون أصحابهم أصلا ليل نهار حتى الموت إلا في حالتين عند قضاء الحاجة، وعند الإفضاء إلى المرأة.

وهذا تشريف عظيم لهذه الأمة حيث جعل تعالى هؤلاء الملائكة يجتمعون بنا ويفارقوننا في أوقات عبادتنا واجتماعنا على طاعة الله وعبادته عز وجل، فينبغي لنا أن نفرح بذلك

حيث إن رسل ربنا يقدمون علينا من عند مولانا الكريم فيسأل من يأتيه منهم عنا، كما ينبغي لنا أن نستشعر ما هو مراد منا وما يدور حولنا من حفظة وملائكة وضبط أحوالنا فلله الحمد تعالى على ما أعطى وتكرم وتفضل.

صلاة الله تعالى وملائكته علينا

ومن مناقب هذه الأمة وفضائلها أن الله عز وجل وملائكته يصلون عليهم كما يصلي على نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ الأحزاب 43.

وهذه الصلاة غير صلاته تعالى على من صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيا له من شرف، ويا له من خير وبركة الرب العظيم في قدسيته وعظمته وكبريائه مع ملائكته الكرام في عبوديتهم الكاملة لله تعالى وتسبيحهم إياه طوال حياتهم يصلون علينا، ونحن العصاة المتلوثون بالآثام الناقصون المقصرون إن هذا لفضل وشرف من الله عز وجل ما

بعده أشرف منه إلا دخول الجنة والنظر إلى وجه الله المقدس والصلاة من الله عز وجل على عباده عرفوها بأنها رحمة منه بهم ومغفرته لهم وتكريمه إياهم بألطافه وإحسانه....

أما صلاة الملائكة فالمراد بها استغفارهم لهم ودعاؤهم معهم.

تيسير الدين عليهم ورفع الحرج عنهم

ومن فضائل هذه الأمة تيسير دينها ورفع الحرج عنها:

قال الله خطاباً لنبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ الأعلى 8، أي الشريعة الميسرة السهلة التي لا مشقة فوق الطاقة فيها وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج 78، أي من ضيق وقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة 185.

وفي الإيمان من صحيح البخاري 102/101/1 من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه،

فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة".

قوله "فسددوا" أي الزموا السداد الصواب والوسط من غير إفراط ولا تفريط، وقوله "وقاربوا" أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه فديننا جاء بالوسطية ولا يتعمق فيه أحد ويترك الرفق والتيسير إلا عجز وانقطع أفاده الحافظ وغيره.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في سرية من سراياه قال: فمر رجل بغار فيه شيء من ماء قال: فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا، ثم قال: لو أني أتيت نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت، وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا قال: فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية

السمحة، والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة" رواه أحمد 266/5 وغيره وهو وإن كان ضعيفاً فإن لفقراته شواهد يتقوى بها.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سئل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أي الأديان أحب إلى الله عز وجل قال: "الحنيفية السمحة" رواه أحمد رقم 2108 والبخاري في الأدب المفرد 287 ورجاله ثقات لولا عنعنة ابن إسحاق لكن الحديث ثابت لشواهده وعلقه البخاري في الإيمان من صحيحه وحسنه الحافظ في الفتح.

والمراد بالحنيفية السمحة هي ملة إبراهيم والدين الخالص والسمحة السهلة التي لا مشقة ولا تعب فيها.

وفروع هذا اليسر كثيرة جداً سيأتي بعضها مفصلا لاحقا إن شاء الله تعالى.

التوبـة

ومن خصائص هذه الأمة وفضائلها أن شرع الله تعالى لهم التوبة من الذنوب أي ذنب كان كبيراً أم صغيراً كان بين الله وبين عباده أم كان بين الإنسان وأخيه.

فما بين المؤمن وبين غفران ذنبه إلا أن يقلع عنه ويندم على فعله وينوي عدم الرجوع إليه ويتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأنعام 54.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء 17.

وقال جل ذكره: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ طه 82.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ{135} أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ{136}﴾ آل عمران 135-136. والآيات في الموضوع كثيرة.

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" رواه ابن ماجه في الزهد 4250 من حديث ابن مسعود ورجاله ثقات وانقطاعه ينجبر بشواهد ولذا حسنه الحافظ وأقره السخاوي في المقاصد.

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح" رواه البخاري في الدعوات 254/13 ومسلم في التوبة 63/17.

فالتائب محبوب إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة 222.

ولنقارن بين مشروعية التوبة لنا بما هو مشروط فيها وبين توبة بني إسرائيل عندما عبدوا العجل حيث أمرهم الله تعالى بقتل أنفسهم.

وكما خصنا سبحانه وتعالى بمغفرة ذنوبنا بالتوبة كذلك جعل غفران صغارها باجتناب كبارها كما قال عز وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ النساء 31، كما يغفرها بالحسنات: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود 114، وبالبلايا والمصائب كما جاء في الأحاديث الكثيرة.

ثم إن التوبة مقبولة قطعاً إن حصلت بشروطها سواء كانت من كافر أم من مسلم خلافاً لمن قطع بها للكافر دون المسلم فإن ذلك قول غير سديد بل هو مخالف للقواطع من الكتاب والسنة.

كثرة عدد الأمة وأن فيها سبعين

ألفا يدخلون الجنة بغير حساب

ومن خصائصها أن عددها كثير لا تقاربه أمة ولا توازيه فهم يعدون يوم القيامة ببلايين البلايين... وما من جيل من أجيال حياتها إلا ويوجد فيه ملايين الملايين نسمة كلهم يشهدون لله عز وجل بالوحدانية ولرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرسالة ناطقين ولهجين بأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ذات يوم فقال: "عرضت علي الأمم يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن تكون هذه أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً قد سد الأفق فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً فقيل لي: هذه أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب" وفي رواية:

"وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" فقام عكَّاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: "أنت منهم" ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: "سبقك بها عكاشة".

رواه أحمد 271/1 والبخاري في الرقاق 198/14 ومسلم في الإيمان 94/3/3 بزيادة ونقصان.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي" رواه أحمد 350/5 والترمذي في الزهد 2254 بتهذيبي وابن ماجه 4286 بسند صحيح.

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قبة نحواً من أربعين فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟" قالوا: نعم، قال: "أترضون أن

تكونوا شطر أهل الجنة؟ إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة" وفي رواية: فكبرنا.

رواه أحمد 386/1 والبخاري في الرقاق 177/14 ومسلم آخر الإيمان 195/3 والترمذي في الجنة 2364.

وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم" رواه الترمذي في الجنة وابن ماجه في الزهد 4289 والدارمي 2838 والحاكم 82/1 وصححه ووافقه الذهبي.

دلت جملة هذه الأحاديث على أن الأمة المحمدية أكثر الأمم عدداً وأنها ستحتل من الجنة الثلثين فقد رأيت أن أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون صفاً من هذه الأمة ولا يعلم مدى تلك الصفوف وطولها إلا الله خالقها سبحانه.

لا يجتاحهم عدو من غيرهم ولا يعذبون عامة بالغرق والسنين

ومن لطف الله عز وجل بهذه الأمة ومناقبها أنه تعالى ضمن لهم أن لا يعذبهم بالمجاعات والغرق عامة أو يسلط عليهم عدواً من غيرهم فيبيدهم جميعاً حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً وقد جاء بهذا أحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن جماعة من الصحابة:

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فناجى ربه عز وجل طويلا ثم قال: "سألت ربي ثلاثاً سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" رواه أحمد رقم 1574/1516 ومسلم في الفتن 14/18.

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوماً صلاة فأطال فيها فلما

انصرف قلنا: يا رسول الله أطلت اليوم الصلاة قال: "إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله عز وجل لأمتي ثلاثا فأعطاني اثنتين ورد علي واحدة، سألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقاً فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي" رواه أحمد 247/243/240/5 وابن خزيمة في الصحيح 1218 وابن ماجه 3951 قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وفي رواية لأحمد قال: أن لا يبعث عليهم سنة تقتلهم جوعاً بدل أن لا يهلكهم غرقاً.

ورواه أحمد 445/5 من حديث جابر بن عتيك رضي الله تعالى عنه قال: دعا بأن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم، ولا يهلكهم بالسنين فأعطيها ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها. قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

وفي الموضوع عن أنس رضي الله تعالى عنه رواه أحمد بسندين صحيحين وفيه أن لا يهلك أمتي بالسنين وأن لا يظهر عليهم عدوهم.

وعن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي وصححه وفيه: "فسألته أن لا يهلكها بما أهلك به الأمم قبلنا... وأن لا يظهر علينا عدواً".

وعن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن الله زوى لي الأرض" وفيه: "أن لا يهلك أمتك بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً فيهلكهم بعامة" رواه أحمد بسند جيد قوي كما قال ابن كثير.

وعن خالد الخزاعي رضي الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "سألت ربي أن لا يعذبهم بعذاب عذب به من كان قبلهم وأن لا يسلط على أمتي عدواً يستبيحها" رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

فهذه خصال سألها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من ربه الكريم لأمته فأعطاه منها ثنتين أو ثلاثا ومنعه الثالثة أو الرابعة.

فسأل الله عز وجل أن لا يعذب الأمة عذاب استئصال بالسنين أو الغرق أو بأي عذاب عذب به من قبلنا أو يسلط

عليهم عدواً من غيرهم فيبيدهم ويستأصلهم فأعطى كل ذلك وضمنها سبحانه له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلم يكن ليهلك الأمة جمعاء بالمجاعات أو الطوفان والغرق أو بعذاب عام أيا كان كما فعل بالأمم السابقة أو يسلط عليها عدوا من غيرها فيستبيحهم ويهلكهم جميعاً، وقد صدق الله تعالى وعده فإن تاريخنا الإسلامي الطويل يصدق ذلك ويؤكده فالأمة المحمدية لم تزل ولا تزال قائمة حتى تقوم الساعة.

نعم سأل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الرب العظيم أن لا يجعل البأس بين الأمة فمنعه ذلك لما سبق في علمه من الاختلاف بينها وتشعبها وتفرقها وسفك بعضها دماء بعض لما في ذلك من الحكم الإلاهية والابتلاء.... وهذا أهون من غيره.

ولذلك لما نزل قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ**﴾ الأنعام 65، قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أعوذ بوجهك" ﴿**أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ الأنعام 65، قال: "أعوذ بوجهك" ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم**

بَأْسَ بَعْضٍ﴾ الأنعام 65، قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "هذا أهون أو أيسر" رواه مسلم وغيره.

الأمة المحمدية مرحومة وهي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره

ومن مناقبها ومزاياها وهو من فضائلها بمكان أن الله عز وجل جعلها مغمورة في رحمته ليس عليها عذاب يوم القيامة عذاب خلود أو عذاباً كعذاب غيرها من الأمم.

وإنما جعل الله تعالى عذابها في الدنيا بكثرة الأمراض والطوارئ كالزلازل والمجاعات والفيضانات، وسفك الدماء والفتن.... فإذا كان يوم القيامة رحمها الله تعالى وكانت تحت حماية رسولها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومن حق عليه العذاب منها لا يعذب منه مواضع الوضوء كما جاء في الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا يحبس بالعذاب داخلها بل يحرق ويلقى عليه الموت حتى يأذن الله تعالى له بالخروج كل ذلك إكراماً لنبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتشريفاً.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال - بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة" الحديث رواه مسلم في الإيمان 37/3 مع النووي.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: وأما قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "ولكن ناس أصابتهم النار..." إلى آخره، فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة فيحيون وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها

فتخرج لضعفها صفراء ملتوية، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم...

فهذا عذابهم في الآخرة وليس كعذاب غيرهم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أمتي أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل" رواه أحمد 4018/408/410/4 وأبو داود 4278 والحاكم 444/4 وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ.

وله شاهد عن رجل من الصحابة رواه الحاكم 254/353/4 من حديث أبي بردة قال: بينا أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجباً فقال رجل من الأنصار قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: مما تعجب يا أبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد، ودعوتهم واحدة، وحجهم واحد، وغزوهم واحد، يستحل بعضهم قتل بعض، قال: لا تعجب فإني سمعت والدي أخبرني أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى

عليه وآله وسلم يقول فذكر الحديث المتقدم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وله شاهد ثان عن عبد الله بن بريدة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "جعل عذاب الأمة في دنياها" رواه الحاكم 49/1 ج254/4 والطحاوي في مشكل الآثار 105/1 وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

وكما جعلها الله تعالى مرحومة وأن عذابها عجل لها في الدنيا جعلها تعالى في هذه الدار كالمطر لا يدري ما الذي ينفع الناس ومزارعهم هل المطر الأول أم الآخر كذلك هذه الأمة فالخير في جميع أجيالها من البعثة النبوية إلى ما بعد نزول عيسى عليه السلام حيث تأتي الريح التي تقبض كل من كان تبقى من المؤمنين ولا يدرى أي جيل من هذه الأمة خير من غيره الخيرية النسبية هل الصحابة الذين ءامنوا بالله وبرسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشاهدوا المعجزات ونزول الوحي وجاهدوا في سبيل الله ونصروا الدين ونشروه أم الذين جاءوا بعدهم إلى آخر الزمان ممن آمنوا بالغيب واتبعوا نور الله

واهتدوا بهدي الله واقتفوا أثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علما وعملا وحالا فقد يكون في الآخرين من فاق الصحابة والسلف في بعض شعب الدين والتمسك بهدي الله عز وجل كما يكون في الأولين من الصحابة وغيرهم من لا يبلغ شأوهم أحد وهذا باعتبار بعض شئون الدين وشعبه، أما بالنسبة إلى الفضل الكامل فلا يحوم أحد حول درجة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الإطلاق جملة وتفصيلا لقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "خيركم قرني..." رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن جماعة وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" وهو في الصحيح أيضاً، أما حديث أبي ثعلبة الخشني الذي فيه: "فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم" رواه أبو داود والترمذي وغيرهما فسنده ضعيف وانظر تهذيبي لجامع الترمذي رقم 2860 من التفسير.

وقد رد العلماء على ابن عبد البر رحمه الله الذي رجح الأفضلية في حديث "خير الناس قرني" الخ بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد يعني قد يكون من يأتي بعدهم من هو أفضل منهم لأحاديث أخرى وردت في ذلك يقتضي ظاهرها التفضيل وقد ذكرت بعضها في أول التفسير الجواهر واللآلئ ج38/37/1، ومن ذلك حديث: "طوبى لمن رآني وآمن بي مرة، وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات" رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة وأحمد عن أنس عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ونحوه عن أبي سعيد الخدري رواه أحمد وابن حبان والحاكم وعن ابن عمر رواه الطيالسي وغيرهم وهي أحاديث صحيحة.

فبهذه وأمثالها استدل ابن عبد البر وغيره على تفضيل اللاحقين على السابقين ورد ذلك بما يطول.

وما ذكرناه في هذا الفصل يشهد له حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره" رواه أحمد 143/30/3 والترمذي في الأمثال 2679 بتهذيبي بسند حسن

وهو صحيح لطرقه قال الحافظ في الفتح: هو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة نقله المناوي في الفيض.

الغر والتحجيل

ومن خصائصها وفضلها أن الله عز وجل سيميزها يوم القيامة عن سائر الأمم سيما خاصة ألا وهي الغر والتحجيل وهو نور يعطونه في مواضع وضوئهم من جوارحهم فيعرفهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من بين سائر الناس ولذلك سماهم غراً محجلين.

فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل" رواه البخاري ومسلم في الطهارة.

وقوله "غرا" جمع أغر هو في الأصل يقال للفرس الذي في جبهته بياض والتحجيل يكون بياض في يديه ورجليه.

فشبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمته بذلك لما سيكون في وجوههم وأيديهم وأرجلهم من نور الوضوء يوم القيامة وبذلك سيعرفهم.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن، إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه" قيل: يا رسول الله وتعرفنا؟ قال: "نعم، تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء، ليست لأحد غيركم" وفي رواية: "لكم سيما ليست لأحد غيركم" رواه مسلم في الطهارة 140/135/3.

وعن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك" فقال له رجل: يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: "هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذريتهم" وفي رواية: "وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم" رواه أحمد 199/5 من طرق هو بها صحيح.

إذا فالغر والتحجيل خاصان بهذه الأمة وبهما ستعرف الأمة المحمدية يوم القيامة.

وذلك يدل على فضل الوضوء وأن لأثره نوراً عظيما يوم القيامة بل هناك خصيصة أخرى له وهو أن حلية المؤمنين في الجنة ستكون حيث يبلغ الوضوء.

ففي الطهارة من صحيح مسلم 140/3 من طريق أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ أنتم ههنا لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء سمعت خليلي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء".

"الحلية" ما يلبسه المؤمن في الجنة من أساور وخلاخل الذهب والفضة والجواهر واللآلئ... فأفادنا فعل أبي هريرة مع ما نسبه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فائدتين هامتين:

إحداهما أن المؤمن سيحلى في الجنة في يديه أساور من حدود كفيه إلى إبطيه، ومن كعبيه بخلاخل إلى ركبتيه وذلكم مبلغ الوضوء الواجب مع المستحب.

ثانيهما أنه يسن في الوضوء الزيادة في الغسل على مواضع الوجوب فيغسل مع اليدين والذراعين إلى الإبطين ومع الرجلين والكعبين إلى الساقين فما فوقهما يدل لذلك فعل أبي هريرة وهو لا يفعل ذلك إلا عن توقيف من الشارع.

وقد جاء ذلك مصرحاً به في حديث أبي هريرة نفسه فعن نعيم المجمر قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتوضأ وقال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله" وفي رواية: "فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل" رواه مسلم 135/134/3.

وقد تقدم مختصراً فإطالة الغرة والتحجيل هي الزيادة على غسل مواضع الوجوب من المرفقين والكعبين... وغسل شيء من مقدم الرأس وما يجاورُ الوجه.

طهارة الأرض للصلاة والتيمم

ومن خصائصها أن الله عز وجل جعل لها الأرض كلها طهوراً للتيمم بها والصلاة عليها من غير تخصيص بالمساجد وهذا بخلاف الأقدمين من أهل الكتاب، فاليهود كانوا لا يصلون ولا تصح منهم إلا في بيعهم، والنصارى هم الآخرون كانوا لا يصلون إلا في كنائسهم ولم يكن لوضوئهم بديل التيمم مثلنا.

ففي حديث جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر..." فذكر الحديث وفيه: "وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما عبد أدركته الصلاة فليصل" رواه البخاري في التيمم 451/1 ومسلم في المساجد 4/3/5 وسيأتي أيضا.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رآى رجلا معتزلاً لم يصل في القوم فقال: "يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم" فقال: يا

رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء فقال: "عليك بالصعيد فإنه يكفيك" رواه الشيخان في المصدرين السابقين قبله.

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن الصعيد الطيب طهور المسلم" وفي رواية: "وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين" رواه أبو داود 333/332 والترمذي 109 والنسائي 129/1 وابن ماجه 197/196 والحاكم 177/176/1 وحسنه الترمذي وصححه.

"الصعيد" وجه الأرض تراباً كان أم رملا، أم حصى أم حجارة قال الزجاج لا أعلم خلافا بين أهل اللغة في ذلك.

طهارة الماء لكل شيء

وكما خصت هذه الأمة بطهورية الأرض كذلك خصت بطهورية الماء لها للأحداث والأخباث وهذا أيضا بخلاف بني إسرائيل.

فعن عبد الرحمن بن حسنة رضي الله تعالى عنه قال: انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم فخرج ومعه درقة ثم استتر بها ثم بال فقلنا: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة فسمع ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: "ألم تعلموا ما لقى صاحب بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذب في قبره".

رواه أهل السنن إلا الترمذي وابن حبان 139 والحاكم 184/1 بسند صحيح، وهذا من الآصار التي كانت عليهم فلم يكن في شرعهم غسل النجاسة من الثوب بالماء بل كان عليهم أن يقطعوا ما أصيب منها.

إحلال الغنائم

ومن خصائصها إحلال الغنائم لها في الجهاد رحمة بها وكان القدماء إذا غنموا شيئا نزلت نار من السماء فأحرقته، وفي حديث جابر السابق في طهورية الأرض: "وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي".

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "لم تحل الغنائم لأحد سود

الرؤوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها" فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله عز وجل: ﴿**لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**{68} **فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً**﴾ الأنفال 68-69.

رواه أحمد 252/2 والترمذي 2885 بتهذيبي والنسائي في الكبرى 352/6 وحسنه الترمذي وصححه وهو صحيح على شرط مسلم.

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمنا بها وتخفيفاً خفف عنا لما علم من ضعفنا".

رواه النسائي في الكبرى 353/6 وابن حبان 149/7 بسند صحيح.

وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "غزى نبي من الأنبياء" فذكر الحديث وفيه: "فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله تعالى رآى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا".

وفي الموضوع أحاديث كلها تفيد حلية الغنائم من خصائص هذه الأمة، أعاد الله عز وجل للمسلمين عزهم وخلافتهم العادلة.

الطاعون شهادة للأمة

ومن خصائصها ومناقبها أن الله تعالى جعل لها الطاعون شهادة لمن مات به صابراً محتسباً بينما كان على من قبلنا رجزاً وعذاباً عياذاً بالله تعالى.

فعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه".

رواه البخاري في الطب 289/12 وفي مواضع ومسلم في الطب 207/204/14.

وعن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "الطاعون كان

عذاباً يبعثه الله على من يشاء، وإن الله جعله رحمة للمؤمنين، فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد".

رواه البخاري في الطب 302/301/12.

وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه في قصته مع سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في طاعون الشام وقصتها في الصحيحين.

والطاعون هو ضرب الجن وطعنهم بني آدم وانظر تفصيل ذلك وبيانه في بداية الوصول ج297/5.

رحمته تعالى بالأمة في أحكام الجنايات

ومن رحمته عز وجل بهذه الأمة والتيسير عليها أن جعل لها في الجنايات التخيير بين القصاص والعفو.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان القصاص في بني إسرائيل ولم يكن فيهم الدية فقال تبارك وتعالى لهذه

من أهل السنة والجماعة ففيها المقرئ، والمحدث، والفقيه والأصولي، والمجاهد الداعية، والمنتسب إلى الأئمة وغيره، والغني، والفقير، والذكر والأنثى، والشريف والمشروف، فكل من تمسك بالحق حسب اجتهاده في طلبه من نيته الصالحة كان من هذه الطائفة وهي موجودة في كل زمان ومكان فلا تختص بأهل الشرق، ولا أهل الغرب.

فلا يزال أفرادها موجودين متمسكين بالحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خاذلهم حتى يأتي أمر الله.

وقد جاء في شأنها أحاديث متواترة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

منها عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهو ظاهرون على الناس".

رواه البخاري في الاعتصام 57/17 وفي العلم 173/1 ومسلم في المغازي 66/13 وغيرهما.

ومنها عن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: **"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله"**.

رواه البخاري أيضا في الاعتصام 56/17 ومسلم في المغازي كذلك 66/13 وغيرهما.

ومنها عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "لا يزال هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة".

رواه مسلم 66/13 وغيره.

وجاء بروايات وألفاظ وانظر تخريجه في الاعتصام من كتابي بداية الوصول ج77/76/1.

وبناء على حديث وجود هذه الطائفة فإن الأمة المحمدية وإن حادت عن طريق نبيها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وطغت وفجرت وأخلدت إلى الأرض واقتفت أثر الغرب فإنها لا تجتمع جميعها على ضلالة أبداً بل لا بد وأن يوجد فيها من يقيم الدين وهم الغرباء.

وقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً ويد الله على الجماعة".

رواه الترمذي في الفتن 1996 والحاكم 116/1 بسند صحيح بل الشطر الأول وارد من طرق كثيرة حتى عُدَّ متواتراً.

وجود المهدي

ومن خصائصها أن الله عز وجل جعل في آخرها حين يتغرب الدين ويحكم العالم العلمانيون وتطبق على البقية من المسلمين القوانين الوضعية التي شرعتها وقننتها الأيدي الآثمة، عندئذ يبعث الله تعالى خليفة يقال له المهدي يملأ الأرض عدلا كما ملأت جوراً يحثو المال حثيا ولا يعده عداً.

وقد جاء في شأن هذا الإمام أحاديث كثيرة صحيحة وحسنة بل قيل بتواترها، وجاء فيه حديث في صحيح مسلم غير مبين.

فعن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم قالا: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده" وفي رواية: "يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عداً" رواه مسلم في الفتن 39/38/18.

فهذا الخليفة المبهم هنا هو المهدي المبين في الأحاديث الأخرى وهي كثيرة:

فمنها عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملأت ظلما وجوراً" وفي رواية: "لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي".

رواه أحمد 448/377/1 وأبو داود في المهدي 4282 والترمذي في الفتن 2060 بتهذيبي من طرق صحيحة وحسنه

الترمذي وصححه وأحد الطريقين عند الترمذي على شرط مسلم والسياق كاملا لأبي داود.

وعن الإمام علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جوراً".

رواه أبو داود 4283 بسند حسن.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "المهدي من عترتي من ولد فاطمة" رواه أبو داود 4284 وابن ماجه 4086 بسند حسن صحيح.

فهذه الأحاديث وعشرات أمثالها مما لم نذكره كلها تدل على أن الله عز وجل خص هذه الأمة بخليفة من أهل البيت يأتي عند تغرب الدين لنصرتها وتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيها والقضاء على العلمانية والقوانين الوضعية والظلم والجور ونشر العدالة وإصلاح الأمة وتوحيد صفوفها وهو على وشك الخروج والظهور إن شاء الله تعالى.

نزول سيدنا عيسى عليه السلام

ومن خصائصها العظيمة أيضا أن الله عز وجل سينزل نبي الله سيدنا عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام آخر أيام المهدي بعد أن رفعه منذ قرون وذلك ليتمم نصر الإسلام وامتداده في سائر القارات وأصقاع المعمور ويوحد الدين ويقضي على سائر الملل ولا يقبل إلا الإسلام وهو الذي سيقتل الدجال ويقاتل اليهود مع المسلمين حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، ومن خصائصه أنه يحكم بشريعتنا الغراء ويبعث محسوباً في جملة الأمة المحمدية مع نبوته ورسالته عليه السلام.

وأحاديث نزوله آخر الزمان متواترة عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهذه نبذة منها:

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عدلاً" وفي رواية: "حكَما مقسطاً، وإماماً عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع

الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: **﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾** النساء 159.

وفي رواية: "ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد" وفي رواية: "وتجمع له الصلاة...".

رواه أحمد 538/2 والبخاري في أحاديث الأنبياء 303/302/7 ومسلم في الإيمان 193/190/189/2 والترمذي 2062 بتهذيبي وابن ماجه 4078 كلاهما في الفتن والرواية الثانية عند مسلم والثالثة لأحمد بسند صحيح.

وعن النعمان بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الدجال ذات غداة فذكر الحديث بطوله فقال: "فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر

وإذا رفعه تحدر منه جُمان اللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله" يعني الدجال.

رواه مسلم مطولا في الفتن 70/63/18 وغيره.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم".

رواه البخاري في الأنبياء 304/7 ومسلم في الإيمان 193/2.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وعلى نبينا وآله وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة".

رواه مسلم في الإيمان 194/193/2، وهو يدل كالذي قبله على أن سيدنا عيسى عليه السلام سيكون كأحد هذه الأمة يقتدي بإمامنا في الصلاة.

وموضوع نزول هذا النبي العظيم وما سينجزه في حياته بعد نزوله طويل وقد أفرد الناس نزوله كخروج المهدي بتآليف وانظر تفصيل ذلك وتحقيقه كسابقه المهدي في بداية الوصول بلب صحيح الأمهات والأصول لعبد ربه ج578/12 فما بعدها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وزوجه وصحبه عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

وبه تم ما أردنا كتابته والحمد لله وكان ذلك ليلة التاسع والعشرين من جمادى الثانية عام 1432هـ.

فهرست المحتويات

الخطبة 3

حديث لو كان موسى حيا الخ 4

معنى الأمة 5

أحاديث وآيات في ذلك 6

أصرح آيات في فضل الأمة 9

هم خيار عدول 10

سيكونون شهداء على الأمم 11

هم شهداء الله في الأرض 12

شهادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أمته..... 14

إحلال الغنائم 92
الطاعون شهادة لها 94
رحمته تعالى في الجنايات 95
الطائفة المنصورة 97
وجود المهدي آخر الزمان 100
نزول عيسى ليتم النصر 103
الفهرست 107

والحمد لله على إفضاله وإحسانه وإنعامه
حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى

أعدها بصيغة pdf فوزي أكريم